مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان وأثرها في تنمية الاقتصاد وازدهاره(*)

د/ موسى بن عبدالله البلوي
الأستاذ المشارك في العقيدة بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الشريعة والقانون، جامعة تبوك – السعودية
mam_albalawi@ut.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 1/2/2024 تاريخ قبوله للنشر 2/3/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان وأثرها في تنمية الاقتصاد وازدهاره

د/ موسى بن عبدالله البلوي
الأستاذ المشارك في العقيدة بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الشريعة والقانون، جامعة تبوك – السعودية

الملخص

يأتي هذا البحث ليتناول أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان وأثرها في تنمية الاقتصاد وازدهاره؛ للمساهمة في دعم الاقتصاد الإسلامي، والمكتبة الإسلامية، ولتعريف المسلمين بالأسس العقدية التي قام عليها اقتصاد حضارتهم التي أذهلت الدنيا. وقد قام على مناهج ثلاثة: الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي. ومن نتائجه: أن العقيدة الإسلامية هي الأساس في قيام الاقتصاد الإسلامي، وأن أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان لها آثار عظيمة في تنميته وازدهاره؛ لأنها: ترسخ في المسلم قيمة المسؤولية، فهو مؤتمن على المال، وهو في حيازته كالوديعة، ويجب أن يتحرى فيه الحلال والحرام، وأن يستثمره فيما يعود بالنفع عليه وعلى المجتمع. وتدفعه إلى مداومة العمل والإنتاج؛ لعمارة الأرض. وتغرس فيه الإيمان بوفرة النعم وكفايتها للناس جميعا، والثقة والأمل وحب العمل، وتدفع عنه اليأس أو الإحباط. وتغرس فيه قيم المنافسة الاقتصادية الشريفة، وتحصنه من الحزن على الماضي أو القلق على المستقبل. وتوجب عليه التحلي بالأخلاق الحسنة والتخلي عن الأخلاق السيئة في كل معاملاته، وتجعل ذلك جزءا من إيمانه. كما أنها تنظم حركة الاقتصاد، وتؤكد توازنه في إشباع الحاجات المادية والروحية، ثم هي صَمَّام الأمان الذي يحفظ للمسلم توازنه النفسي والصحي ضد الكوارث وتقلبات الزمان. ومن شأن هذا كله أن يحرك عجلة التنمية ويرفع جودة النشاط الاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: أسس البناء العقدي، الاقتصاد الإسلامي، الإنسان، تنمية الاقتصاد وازدهاره.

The foundations of the doctrinal structure of Islamic economics related to humans and their impact on the development and prosperity of the economy

Dr. Musa bin Abdullah Al-Balawi
Associate Professor of Doctrine, Department of Islamic Studies
College of Sharia and Law, University of Tabuk – KSA

Abstract

This research addresses the foundations of the doctrinal structure of Islamic economics related to humans and their impact on the development and prosperity of the economy. To contribute to supporting the Islamic economy and the Islamic library, and to introduce Muslims to the doctrinal foundations on which the economy of their civilization that astonished the world was based. It was based on three approaches: inductive, analytical, and deductive. Among its results: that the Islamic faith is the basis for the establishment of the Islamic economy, and that the foundations of the doctrinal structure of the Islamic economy related to man have great effects on his development and prosperity. Because she:

The value of responsibility is established in the Muslim. He is entrusted with money, and it is in his possession as a deposit. He must investigate what is permissible and what is forbidden in it, and invest it in what benefits him and society. It pushes him to continue working and producing. For land architecture. It instills in him belief in the abundance of blessings and their sufficiency for all people, confidence, hope, and love of work, and drives away despair or frustration. It instills in him the values of fair economic competition, and protects him from sadness about the past or anxiety about the future. He must have good morals and abandon bad morals in all his dealings, and make that part of his faith. It also regulates the movement of the economy and ensures its balance in satisfying material and spiritual needs. It is then the safety valve that preserves the Muslim's psychological and health balance against disasters and the fluctuations of time. All of this would move the wheel of development and raise the quality of economic activity.

Keywords: foundations of religious construction, Islamic economics, human beings, economic development and prosperity.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد،

فإنه لا ريب أن الأنظمة الاقتصادية الوضعية أيا كان اتجاهها إنما تقوم في الأساس على معتقدات أو نظريات يسعى الاقتصاديون إلى تحقيقها على أرض الواقع، لتحقيق غايات ينشدونها، ولما كانت هذه المعتقدات والنظريات من صنع البشر كانت دائما عرضة للتغيير؛ نتيجة للنقص والفساد الذي يعتريها؛ لأنه يستحيل على البشر أن يحيطوا بمصالح الناس في الحاضر؛ فضلا عن أن يحيطوا بها في المستقبل.

أما في الإسلام، فإن الوضع مختلف تماما؛ لأنه الدين الوحيد الذي تكفل الله تعالى بحفظه، وجعله تشريعا كاملا شاملا صالحا لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة.

والاقتصاد في الإسلام مستمد من نصوص تلك الشريعة الغراء، المحفوظة قرآنا وسنة، ولذا فهو صالح لكل زمان ومكان؛ لأنه تشريع العليم الخبير بما يصلح عباده ويحقق لهم السعادة في العاجل والآجل، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

ويأتي هذا البحث ليتناول بالبيان أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان وأثرها في تنمية الاقتصاد وازدهاره؛ للمساهمة في دعم المكتبة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي، ولتعريف المسلمين بالأسس العقدية التي قام عليها اقتصاد حضارتهم التي أذهلت الدنيا.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يأتي:

١- تقديم دراسة علمية عقدية تأصيلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، تعنى ببيان أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان، وأثر هذه الأسس العقدية في تنمية الاقتصاد وازدهاره.

٢- تعريف المسلمين بما قام عليه اقتصادنا الإسلامي من أسس عقدية متينة كانت السبب الأول في نجاح المسلمين وتأسيسهم حضارة أذهلت الدنيا.

٣- المساهمة في دعم التنمية الاقتصادية الإسلامية دعما علميا بهذه الدراسة المتخصصة في الأسس العقدية المتعلقة بالإنسان.

حدود البحث:

يمكن تقسيم أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي إلى قسمين: الأول: الأسس العقدية المتعلقة بالإنسان، والثاني: الأسس العقدية المتعلقة بالمال، وأثر كل أساس من تلك الأسس جميعها في تنمية الاقتصاد وازدهاره.

وهذا البحث مقتصر على بيان أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي التي تتعلق بالإنسان، وأثرها في تنمية الاقتصاد وازدهاره، وقد خصصت دراسة أخرى لبيان أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي التي تتعلق بالمال، وأثرها في تنمية الاقتصاد وازدهاره؛ لأن أوعية النشر العلمي لا تتسع لهذين الجانبين الكبيرين في دراسة واحدة[1].

(١) يجري نشرها الآن.

منهج البحث:

قام هذا البحث على ثلاثة مناهج هي: المنهج الاستقرائي: ومن خلاله جمعت كثيرا من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية بما يفي بغرض البحث، والتي تتضمن أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان. والمنهج التحليلي: واتبعته في بيان دلالات الآيات والأحاديث على تلك الأسس العقدية بصورة مجملة تفي بغرض البحث. والمنهج الاستنباطي: واتبعته في بيان ما تيسر من المضامين العقدية لكل أساس من تلك الأسس وأثرها العظيم في تنمية الاقتصاد.

الدراسات السابقة:

بعد بحث دقيق لم أجد أي دراسة تناولت البحث الحالي بهذا العنوان وهذه المنهجية، وما وجدته إنما هي دراسات في قضايا متفرقة، وقد استفدت من بعضها في ثنايا البحث، ومنها:

١- أصول علم الاقتصاد الإسلامي، للدكتور/ أحمد صفي الدين عوض، بحث منشور بمجلة أضواء الشريعة، بكلية الشريعة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني عشر، عام ١٩٨١م.

تناول في فصوله الأربعة: الاقتصاد في النفقة، والاقتصاد في الكسب، وتقسيم العمل في الإسلام، والسوق في الإسلام.

٢- الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي في الخطاب القرآني، د/ عمر الكتاني، بحث منشور بندوة سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر، بالدار البيضاء، بالمغرب، ٢٠١١م.

تناول فيه موضوعين: الأول: ماهية الاقتصاد الإسلامي، والثاني: الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي تنطلق من فطرة الإنسان.

٣- الاقتصاد الإسلامي فلسفته ومذهبه العلمي، د/ عبد الرحمن يسري أحمد، ط/ مركز صالح كامل للاقتصاد الاسلامي، بجامعة الأزهر، ٢٠١١م.

تناول فيه الموضوعات الآتية: تعريف علم الاقتصاد الإسلامي، والمزيج المتميز لعلم الاقتصاد الإسلامي، وبناء النظرية في علم الاقتصاد الإسلامي: الضرورة والمتطلبات والخطوات، ودور العلوم الاجتماعية والتاريخ الاقتصادي في البحث والتحليل، والالتزام بالمفهوم العلمي للاقتصاد الإسلامي وإمكانية التطبيق.

٤- العقيدة ودورها في التنمية الاقتصادية، أ/ أحمد الأمين، وهو مقال نشر عام ٢٠١٤، بمجلة الوعي الإسلامي، بالكويت. وقد تناول فيه هذه القضية بصورة موجزة جدا.

٥- تحليل وتفسير المشكلة الاقتصادية في ضوء العقيدة الإسلامية، د/ باي عامر، منشور بمجلة العلوم الاقتصادية والتجارية، بجامعة الوادي، بالجزائر، المجلد العاشر، العدد الأول، عام ٢٠٢٠م.

وقد تناول فيه بعض القضايا الاقتصادية ومنها: المشكلة الاقتصادية، والحاجات الإنسانية، والموارد الاقتصادية كل ذلك في ضوء الرؤية العقائدية.

٦- الاقتصاد الإسلامي مذهب وعقيدة، د/ إبراهيم أباظة، وهو مقال منشور عام ١٩٨٢، بمجلة الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، في العدد السادس والعشرين. وقد ناقش فيه تلك القضية بصورة موجزة جدا.

هذه بعض الدراسات التي توصلت إليها، وغيرها كثير في موضوعات شتى في الاقتصاد الإسلامي، ولم أجد دراسة تناولت أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان، وأثرها في تنمية الاقتصاد وازدهاره.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطته.

المبحث الأول: بين يدي البحث.

وفيه: أولا: مفهوم الاقتصاد الإسلامي. ثانيا: مفهوم أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي.

المبحث الثاني: الأسس العقدية للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان، وأثرها في تنمية الاقتصاد وازدهاره.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات. **ثم المصادر والمراجع.**

المبحث الأول: بين يدي البحث

وفيه: أولا: مفهوم الاقتصاد الإسلامي. ثانيا: مفهوم أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي.

أولا: مفهوم الاقتصاد الإسلامي

الاقتصاد في اللغة: مشتق من مادة الفعل (قَصَدَ)، والْقَصْدُ: اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ، والعَدْل، والْوَسَطُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وهو خلافُ الإفراطِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الإسراف وَالتَّقْتِيرِ. وَالْقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ: أَن لَا يُسْرِفَ وَلَا يُقَتِّرَ(٢).

والاقتصاد الإسلامي في الاصطلاح: له تعريفات متعددة؛ نظرا لجدة المصطلح، لا لوجود الاقتصاد الاسلامي نفسه، فإنه قديم قدم الإسلام.

وقد عرفه بعض المتخصصين بأنه: "العلم بالأحكام الشرعية العملية عن أدلتها التفصيلية فيما ينظم كسب المال وإنفاقه وأوجه تنميته"(٣).

وعرفه بعضهم بأنه: "العلم الذي يبحث في طرق الكسب والنفقة على ضوء الأحكام والآداب التي تضمنتها شريعة الإسلام"(٤).

وعرفه بعضهم بأنه: "العلم الذي يبحث في أفضل استخدام ممكن للطاقات والموارد البشرية وغير البشرية المتاحة، بما يؤدي إلى اكتساب أقصى ما يمكن من دخول حلال، حالياً ومستقبلاً، وتوزيعها وإنفاقها في إطار العقيدة والشريعة الإسلامية"(٥).

وعرفه بعضهم بأنه: "مجموع المفاهيم والقواعد والنظريات والمعاملات التي تهدف إلى تسخير المال، للرفع من قيمة الإنسان من خلال تحقيق توازن وتزاوج بين المصلحة المادية والمصلحة الروحية من جهة، وتوازن بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية من جهة ثانية"(٦).

ثانيا: مفهوم أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي

– الأُسُس في لغة العرب: جمع أَسَاس، وهو الْأَصْلِ وَالشَّيْءِ الثَّابِتِ"(٧).

– والبناء في لغة العرب: ضَمُّ الشَّيْءِ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ، سواء كان ماديا كبناء البيت ونحوه، أو كان معنويا كقولهم: بَنَى كلاماً، وشِعْراً، وهذا كلامٌ حَسَنُ المباني"(٨). ومن صفات البناء: الثبوت(٩).

وفي الاصطلاح: "وضع شَيْء على شَيْء على صفة يُرَاد بهَا الثُّبُوت"(١٠).

---

(٢) لسان العرب لابن منظور: ٣/ ٣٥٣، ٣٥٤، مادة (قصد).

(٣) الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف للدكتور/ عبد الله عبد المحسن الطريقي: ص١٨.

(٤) أصول علم الاقتصاد الإسلامي، للدكتور/ أحمد صفي الدين عوض: ص١٩٧.

(٥) الاقتصاد الإسلامي فلسفته ومنهجه العلمي للدكتور/ عبد الرحمن يسري أحمد: ص٣٠.

(٦) الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي في الخطاب القرآني، للدكتور/ عمر الكتاني: ص٢٨٦.

(٧) مقاييس اللغة لابن فارس: (١/ ١٤)، ولسان العرب: (٦/ ٦)، مادة (أس).

(٨) الصحاح للجوهري: (٦/ ٢٢٨٦)، ومقاييس اللغة: (١/ ٣٠٢)، ولسان العرب: (١٤/ ٩٤)، مادة (بنى).

(٩) لسان العرب: (١٤/ ٩٤)، مادة (بنى)

(١٠) الكليات للكفوي: (ص٢٤١).

– **والعقيدة في اللغة**: مأخوذة من العَقْدِ، والذي يدل على الإحكام والإيثاق، قال ابن فارس: "الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شَدٍّ وَشِدَّةٍ وُثُوقٍ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فُرُوعُ الْبَابِ كُلُّهُ"(١١).

وفي الاصطلاح: الإيمان الجازم بالله عز وجل، وبما يجب له تعالى من التوحيد والطاعة، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدَر خيره وشرّه، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، والقطعيات، علمية كانت أو عملية، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها(١٢).

– **والاقتصاد الإسلامي**: تقدم بيان المراد به.

ومما سبق يمكننا تعريف (أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان) بأنها:

تلكم الأصول والقواعد والأركان التي يقوم عليها البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي، والمبنية على الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد والطاعة، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، والقطعيات، علمية كانت أو عملية، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها.

ومما تجدر الإشارة إليه: أن هذا البحث ليس معنيا بذكر أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي كلها، وإنما هو معنيٌّ بما يتعلق منها بالإنسان، وأثرها في تنمية الاقتصاد وازدهاره.

المبحث الثاني

الأسس العقدية للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان وأثرها في تنميته وازدهاره

ذكرت في المقدمة في حدود هذا البحث أنه يقتصر على بيان الأسس العقدية للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان، وأثرها في تنميته وازدهاره، وأن الأسس العقدية المتعلقة بالمال قد تناولتها في بحث آخر يجري نشره حاليا. وهذه الأسس إجمالا تتمثل في الآتي:

الأساس الأول: الإيمان بأن المالك لكل شيء هو الله تعالى، وأن ملكية الإنسان ملكية اعتبارية.

الأساس الثاني: الإيمان بأن الإنسان مستخلف من الله تعالى في كل ما يملك.

الأساس الثالث: الإيمان بأن الله تعالى سخر كل ما في الكون لخدمة الإنسان.

الأساس الرابع: الإيمان بأن الله تعالى أودع في هذا الكون كل ما يكفي جميع خلقه.

الأساس الخامس: الإيمان بأن العمل المشروع عبادة لله تعالى يثاب عليها.

الأساس السادس: الإيمان بحرمة الانشغال بالعمل عن العبادات المفروضة.

الأساس السابع: الأخذ بأسباب الرزق، والإيمان بالتفاوت فيه.

الأساس الثامن: الإيمان بالقضاء والقدر، والرضا بما قسم الله.

الأساس التاسع: الإيمان بأن الله تعالى رقيب على عباده (الرقابة الإلهية، والرقابة الذاتية).

الأساس العاشر: الإيمان بأن الأخلاق ركن رئيس في الاقتصاد.

---

(١١) مقاييس اللغة: ٤/ ٨٦، مادة (عقد).

(١٢) العقيدة الصحيحة وما يضادها ورسالة المعية للشيخ/ عبد العزيز بن باز: ص٣، ٤، ومجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة للدكتور/ ناصر العقل: ص٥، وتسهيل العقيدة الإسلامية للشيخ عبد الله الجبرين: ص١.

وها هي بشيء من البيان يفي بغرض البحث دون تفصيل؛ نظرا لارتباط النشر في الأوعية العلمية بعدد معين من الصفحات، وإلا فإن هذه الأسس لو تم الحديث عنها تفصيلا لاستغرقت عدة مجلدات.

الأساس الأول: الإيمان بأن المالك لكل شيء هو الله تعالى، وأن ملكية الإنسان ملكية اعتبارية:

- فعقيدة المسلم قائمة على أن الله تعالى هو المالك لكل شيء في السماوات والأرض.

يقول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠]، ويقول تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦]، ويقول تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [طه:٦]، ويقول تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩ – ٥٠]، ويقول تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يونس: ٥٥]، ويقول تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦].

- وأن الله عز وجل له ميراث السماوات والأرض؛ يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠].

والآيات الكريمة التي تؤكد هذا الأساس العقدي أكثر من أن تحصى.

- كما أن عقيدة المسلم قائمة على أن ملكية الإنسان لشيء قلَّ أو كثر إنما هي ملكية مؤقتة واعتبارية ومقيدة بضوابط الشرع الحنيف في كل وجوه التصرفات، كسبا، وتنمية واستثمارا، وإنفاقا؛ يقول الله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧]، ويقول تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى ءَاتَىٰكُمْ ۚ﴾ [النور: ٣٣]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨]، فالله تعالى هو الرزاق، والعباد مستخلفون في هذا الرزق، ومؤتمنون عليه، ومأمورون باتباع ما شرعه الله تعالى فيه كسبا وتنمية وإنفاقا.

ولذلك الأساس العقدي أثر عظيم في تنمية الاقتصاد وازدهاره:

لأنه يرسخ في قلب المؤمن وذهنه "أن الله سبحانه وتعالى مالك كل شيء، وله وحده حق تنظيم وإدارة ما يملك، وهذا يوجب على المسلم أن يتعامل في هذا المال في ضوء القواعد والشروط التي وضعها المالك الحقيقي للمال، وهو الله عز وجل"(١٣). ويرسخ في وجدانه أيضا أنه "يجب توجيه هذا المال واستثماره فيما يعود بالنفع عليه وعلى المجتمع، وأنه لا يجوز استثماره ولا استخدامه في حرام أو منكر أو ما يضر الآخرين"(١٤).

(١٣) دور القيم الإيمانية والأخلاقية في الاقتصاد الإسلامي، للدكتور/ حسين شحاتة.

(١٤) المقاصد الأخلاقية والاجتماعية لضوابط الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي: ص٥٨٨.

كما يرسخ في عقيدة المسلم أن هذا المال في حيازته كالوديعة أو العارية، وأن ملكيته له إنما هي ملكية منضبطة بقواعد الحلال والحرام، ومن شأن ذلك كله أن يكبح جماح النفوس الشرهة عن المغالبة على جمع المال بأي وسيلة، وأن يربيها على التزام الضوابط الشرعية في كل معاملة؛ كسبا أو تنمية أو إنفاقا، وهذا من شأنه أن يرفع من جودة النشاط الاقتصادي.

الأساس الثاني: الإيمان بأن الإنسان مستخلف من الله تعالى في كل ما يملك:

حيث تقوم عقيدة المسلمين على أن الله تعالى استخلف الإنسان في هذه الأرض ليعبده عز وجل، ويعمرها؛ وفق ما شرعه سبحانه.

- يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]، ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٤]، ويقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر: ٣٩].

وفي شأن المال تحديدا يقول تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧]، ويقول تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤].

- ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ؛ لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»(١٥). أي: "جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم"(١٦).

"وبهذا تفرض العقيدة الإسلامية على المسلم الاضطلاع بواجب التنمية الذي استخلف من أجله، وإن النكوص عن ذلك بدون عذر ليعد انحرافا عقديا"(١٧).

ولذلك الأساس أثر عظيم في تنمية الاقتصاد وازدهاره:

لأن بناء عقيدة المسلم على أنه مستخلف في مال الله تعالى يؤكد تكريم الله عز وجل للإنسان، ويغرس في قلبه أنه مهما طال عمره أو قصر تارك ذلك المال لورثته، ومن ثم تزرع هذه العقيدة في قلبه قيمة المسؤولية، وتحصنه من

(١٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء: ٢٠٩٨/٤، ح(٢٧٤٢).

(١٦) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٧/ ٥٥.

(١٧) العقيدة ودورها في التنمية الاقتصادية، لأحمد الأمين، مقال منشور بجريدة الوعي الإسلامي. بتصرف يسير.

الطمع، والجشع، والظلم، وسائر الآفات المتعلقة بذلك، وتجعله ملتزما بشريعة الله تعالى في ماله، كسبا وتنمية وإنفاقا؛ طمعا في ثوابه عز وجل، وخوفا من عقابه، ونفعا لنفسه وللناس، ومنعا لضرره عن نفسه وعن الناس، وهذا كله من شأنه أن ينمي الاقتصاد ويرفع من جودته.

الأساس الثالث: الإيمان بأن الله تعالى سخر كل ما في الكون لخدمة الإنسان:

حيث تقوم العقيدة الإسلامية على أن الله تعالى سخر للإنسان كل ما في هذا الكون؛ فضلا منه تعالى ونعمة؛ ليسهل للإنسان سبل العيش وأسباب الحياة، وليمكنه من إعمار الأرض، وإعمارها لا يكون إلا بالكسب والاستثمار؛ وفقا لأحكام الله تعالى؛ "ولا يمكن للإنسان أن يعمر الأرض إلا مع التسخير والتسهيل والتذليل(١٨).

والنصوص القرآنية في ذلك كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ ﴾ [النحل: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

ولهذا الأساس العقدي أثر عظيم في تنمية الاقتصاد وازدهاره:

لأن بناء عقيدة المسلم على أن الله تعالى سخر للإنسان كل ما في الكون لخدمته يخلع عليه مزيدا من التكريم والتشريف، ويلقي عليه في نفس الوقت تبعة عظيمة وأمانة كبيرة، ألا وهي أمانة القيام بمسؤولية إعمار الأرض، ونفع البشرية، وهي غاية كبرى تحمل العديد من القيم التي تدفعه إلى مداومة العمل والإنتاج والاستثمار والتنمية؛ فينطلق في حركة مستمرة دائبة؛ امتثالا لتكليف الله تعالى، وما أعظم العمل والاستثمار حين تكون العقيدة هي الباعث عليه والمنظم لسلوكه!.

الأساس الرابع: الإيمان بأن الله تعالى أودع في هذا الكون كل ما يكفي جميع خلقه:

حيث تقوم العقيدة الإسلامية على أن الله تعالى أودع في هذا الكون كل ما يكفي جميع خلقه من الموارد في شؤون حياتهم ومعاشهم إلى قيام الساعة، وأن ما نشاهده من الفقر والحاجة إنما هو راجع إلى تقصير الإنسان وسلوكه الخاطئ في إدارة هذه الموارد واستثمارها الاستثمار الأمثل، لا إلى قلة الموارد التي خلقها الله تعالى.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ﴾ [فصلت: ٩، ١٠]، ويقول عز وجل: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾

(١٨) ينظر: حول المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية لعبد الحميد الغزالي: ص٧٠، والمقاصد الأخلاقية والاجتماعية لضوابط الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي: ص٥٨٩.

[هـود:٦]، ويقـول تعـالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [العنكبـوت: ٦٠]، ويقـول تعـالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣]، ويقول تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ١٩ – ٢١].

وبناء عليه: فإن القول بالندرة المطلقة أو الندرة النسبية للموارد الطبيعية، كل ذلك مرفوض في الإسلام؛ لأنه مخالف للعقيدة الإسلامية بأن الله تعالى تكفل بأرزاق جميع خلقه(١٩).

والمشكلة الاقتصادية إنما هي مشكلة سلوكية، تتمثل في سلوك الإنسان عندما يسيئ استثمار ما سخره الله تعالى له من خيرات الأرض بأي وجه من وجوه الإساءة(٢٠).

ولذلك الأساس العقدي أثر عظيم في تنمية الاقتصاد وازدهاره:

حيث إن هذه العقيدة تزرع في قلب المسلم الثقة في وجود كل حاجاته في هذا الكون، فتسري فيه روح الأمل، وإدامة السعي وحب العمل، لتحقيق أعلى مستوى من التنمية والتقدم والازدهار، كما تدفع عنه هذه العقيدة أي تفكير في اليأس أو الإحباط؛ نتيجة الفشل أو الإخفاق، لأن عقيدته راسخة في وفرة النعم وكفاية الخيرات للناس جميعا؛ فيسعى جاهدا ويكرر المحاولات، ويعمل على تطوير ذاته ووسائله وإمكاناته، فتتحرك عجلة التنمية ويزدهر الاقتصاد.

الأساس الخامس: الإيمان بأن العمل المشروع عبادة لله تعالى يثاب عليها:

حيث تقوم العقيدة الإسلامية على أن قيام المسلم بأي عمل مشروع إنما هو بمثابة العبادة لله عز وجل، وأن الله تعالى يثيبه عليه إن أحسن النية فيه؛ وهذا من عظيم فضل الله تعالى؛ لأنه عز وجل حين كلف الإنسان بالخلافة في الأرض وعمارتها والسعي على تدبير أمور معاشه وحياته جعل لعمله هذا ثوابا جزيلا، وفي القلب من ذلك العمل المشروع: كل الأنشطة الاقتصادية.

ولما كان الاقتصاد مرتبطا ارتباطا وجوديا بالعمل فقد رفع الإسلام شأن العمل المشروع، وجعله بمنزلة العبادة التي يتعبد بها المسلم لله تعالى، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة:

- فمن الآيات الكريمة:

أن الله تعالى حث المؤمنين على السعي في طلب الرزق بعد قضائهم الصلاة مباشرة؛ فقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة: ١٠].

---

(١٩) ملخص من: الاقتصاد الإسلامي فلسفته ومنهجه العلمي للدكتور/ عبد الرحمن يسري: ص٢٨، ٢٩، ومبادئ الاقتصاد الإسلامي، للدكتور/ سعد بن حمدان اللحياني: ص٢٤، ٢٥.

(٢٠) مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، للدكتور/ سعيد مرطان: ص٦٣– ٧٣، والاقتصاد الإسلامي مدخل ومنهاج، للدكتور/ عيسى عبده: ص٣٤.

وبيَّن سبحانه منزلة العمل الصالح حين قرن بينه وبين الدعوة إلى عبادته عز وجل، وجعله من أحسن العبادات؛ فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وجعل الثواب على قدر إتقان هذا العمل والإخلاص فيه؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠]، "أي: لا نترك أعمالهم تذهب ضياعا، بل نجازيهم على الأعمال الصالحة"(٢١).

ووعد سبحانه من عمل صالحا بالحياة الطيبة في الدنيا، والنعيم في الآخرة؛ فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، "وهذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا، وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من ذكر أو أنثى، من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من كل الجهات"(٢٢).

وامتن الله تعالى على عباده بما سخره لهم في الأرض من النعم برا وبحرا، وأمرهم بالسعي والعمل لتحصيل ما فيها من الخيرات؛ فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يس: ٣٣ – ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: ٧٣].

ومن تشريفه عز وجل للعمل أمره للأنبياء – عليهم السلام – بأن يعملوا صالحا، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]، وإخباره عز وجل عن حرفهم وصناعاتهم، مع ما كلفهم به من أعباء النبوة، يقول تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]، ويقول تعالى عن داود عليه السلام: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ: ١١].

---

(٢١) التفسير البسيط للواحدي: (٣/ ١٤٧).

(٢٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٤/ ٥١٦).

- ومن الأحاديث النبوية:

تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم على أن العمل والسعي في تحصيل المعاش عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، ويثاب عليها، فعن كعب بن عُجْرَةَ قال: (مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَلَدِهِ ونَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّها فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»[٢٣].

وبيانه صلى الله عليه وسلم لقيمة العمل؛ حيث يقول: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[٢٤]، وحيث يقول صلى الله عليه وسلم: «يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»[٢٥].

كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الكسل أو التواكل أو القعود عن العمل ليس من عقيدة الإسلام، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[٢٦]. وحيث يقول صلى الله عليه وسلم: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»[٢٧].

هذا، وقد بين العلماء أن العمل الذي يرتفع إلى درجة العبادة ويثاب المسلم عليه لابد أن تتوفر فيه شروط مهمة:

أولها: أن يكون مشروعا، ثانيها: أن يكون خالصا لوجه الله تعالى، وثالثها: أن يكون على السنة، وقد لخص ذلك الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢]. قال: "أخلصه وأصوبه"، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة"[٢٨].

يقول ابن تيمية: "وهذا الذي قاله الفضيل متفق عليه بين المسلمين، فإنه لا بد له في العمل أن يكون مشروعا مأمورا به، وهو العمل الصالح. ولا بد أن يقصد به وجه الله. كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: "اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا"[٢٩].

(٢٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: ٧/ ٥٦، ح(٦٨٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/ ٣٠١، ح(١٤٢٨).
(٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده: ٣/ ٥٧، ح(٢٠٧٢).
(٢٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ص: ١١٢، ح(٢٩٩) وقال الألباني: صحيح.
(٢٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة: ٢/ ١٢٣، ح(١٤٧١).
(٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة: ٢/ ١٢٣، ح(١٤٧٤)..
(٢٨) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٨/ ٩٥.
(٢٩) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٧٦).

ولهذا الأساس العقدي أثر عظيم في تنمية الاقتصاد وازدهاره:

لأن بناء عقيدة المسلم على أهمية العمل في الحياة ومنزلته من الدين، وأنه مثاب عليه في الآخرة؛ يدفعه إلى بذل قصارى جهده في الإكثار منه، وفي إخلاصه فيه، وفي إتقانه وإحسانه، ويدفع عنه الملل من العمل ما دام فيه عرق ينبض، "وفي ذلك إشباع للحاجات المادية اللازمة للجسد، وإشباع للحاجات الروحية أيضا، من العبادة والشكر لله تعالى"(٣٠).

الأساس السادس: الإيمان بحرمة الانشغال بالعمل عن العبادات المفروضة:

ومع أن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد تعبدي، وللعمل فيه أهمية عظمى ترفعه إلى درجة العبادة متى تحققت فيه الشروط، إلا أن عقيدة المسلم تقوم على تقديس العبادة وتقديمها على العمل مهما كان، فلا يجوز للمسلم أن ينشغل بأي عمل مشروع عن العبادات المفروضة.

وفي هذا يمدح الله تعالى عباده الذين لم تلههم الدنيا عن عبادته؛ فيقول عز وجل: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦- ٣٨].

ويحذر عباده المؤمنين من الانشغال بالأموال والأولاد عن عبادته؛ فيقول عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩].

ويلوم الله تعالى المؤمنين على انشغالهم بأمور التجارة عن الصلاة، ويخبرهم أن ما عنده تعالى من الثواب على الطاعة خير من الدنيا وما فيها، فيقول عز وجل: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة: ١١].

ولهذا الأساس العقدي أثر عظيم في تنمية الاقتصاد وازهاره:

لأنه ينظم حركة الاقتصاد الإسلامي، ويؤكد توازنه، فهو ليس اقتصادا ماديا بحتا، تطغى فيه حاجات المادة على حاجات الروح، بل لكل منهما نصيبه في حياة المسلم، فإذا تعارضت حاجات الروح مع حاجات الجسد قُدمت حاجات الروح؛ لأنها المسؤولة عن تزكية النفس وتهذيبها؛ فهي الأساس والمحرك للجسد والموجه له إلى كل أبواب الخير، ولعمري: أي رقي هذا، وأي توازن هذا الذي يتضمنه الاقتصاد الإسلامي!!.

الأساس السابع: الأخذ بأسباب الرزق، والإيمان بالتفاوت فيه:

- حيث تقوم العقيدة الإسلامية على وجوب الأخذ بأسباب الرزق والسعي في هذه الأرض سعيا حثيثا دون كلل أو ملل، فهي ليست عقيدة اتكال أو تواكل، وإنما هي عقيدة عمل وجد ونشاط، وفق ما سنَّه الله تعالى في كونه من الأسباب، وعلى المسلم أن يأخذ بتلك الأسباب، وإلا كان مقصرا ومستحقا للعقاب. والنصوص القرآنية في ذلك كثيرة جدا.

(٣٠) دور القيم الإيمانية والأخلاقية في الاقتصاد الإسلامي، للدكتور/ حسين شحاتة، بتصرف.

ولمنزلة الأخذ بالأسباب أمر الله تعالى أنبياءه أن يأخذوا بها؛ فقال عز وجل في شأن نوح عليه السلام: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، وقال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣].

وأمر المؤمنين أن يأخذوا بالأسباب، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥]، وأمر مريم أن تأخذ بالأسباب وهي أضعف ما تكون؛ فقال تعالى: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم: ٢٥].

- كما تقوم العقيدة الإسلامية أن الأخذ بأسباب الرزق من ثمرات الإيمان بالقَدَرِ، وأن الأسباب لا تتحقق مسبباتها إلا بإذن الله الذي خلق الأسباب والمسبَّبات.

يقول ابن تيمية: "الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع"(٣١).

- كما تقوم العقيدة الإسلامية على أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله تعالى؛ يقول ابن أبي العز الحنفي: "ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا ظن فاسد؛ فإن الاكتساب: منه ما هو فرض، ومنه ما هو مستحب، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مكروه، ومنه ما هو حرام، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل المتوكلين يلبس لَأْمَةَ الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب"(٣٢).

ويقول ابن القيم: "الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه، ويرجوه أن لا يكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعارضها ويبطل أثرها"(٣٣).

- كما تقوم العقيدة الإسلامية على وجوب الأخذ بأسباب زيادة النعم: وعلى رأسها الإيمان بالله تعالى، وتقواه، وشكره عز وجل على نعمه.

يقول الله تعالى مبينا أن الإيمان والتقوى شرط في زيادة النعم: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ويقول تعالى على لسان نوح – عليه السلام – لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠ – ١٢]. والاستغفار ههنا يراد به الإيمان، على ما قرره المفسرون(٣٤)، لأن المخاطبين بهذا كانوا كفارا، ومن ثم كان أمرهم بالاستغفار أمرا بالإيمان بالله تعالى، وقد جعله الله تعالى سببا في إغداق الخير عليهم من كل جانب.

---

(٣١) الفتاوى الكبرى: ٥/ ٢٣٢.

(٣٢) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٣٥١).

(٣٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: (ص: ٣٩).

(٣٤) جامع البيان للطبري: ١٥/ ٣٥٨، ومعالم التنزيل للبغوي: ٢/ ٤٥٢، ٤٥٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ١٠/ ٢٨٢، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٩/ ٣٨، وفتح القدير للشوكاني: ٥/ ٣٥٧، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٢٩/ ١٩٧.

ويقول تعالى مبينا أن شكره تعالى على نعمه سبب في زيادتها: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]، قال القرطبي: "والآية نص في أن الشكر سبب المزيد"(٣٥). والشكر كما يكون باللسان يكون بالجوارح؛ قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ١١]، وقال تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣].

- كما تقوم العقيدة الإسلامية على وجوب الابتعاد عن أسباب زوال النعم: وعلى رأس ذلك: كفرانها؛ أي: نسيانها وتجاهلها؛ جحودا بالقلب، أو إنكارا باللسان، أو عصيانا بالجوارح، أو بذلك كله.

ومن صور كفران النعم: نسبة إيجادها أو خلقها لغير الله تعالى، وهذا كفر بالله عز وجل، يقول تعالى حكاية عن قارون: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص: ٧٨] أي: حصلت على هذه الكنوز بحولي وقوتي، بسبب حذقي ومعرفتي بوجوه المكاسب، لا أنها تفضل من الله تعالى(٣٦)؛ وكان عقابه: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٨١].

ويقول تعالى حكاية عن الإنسان الجاحد: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾، أي قال: إنما أوتيت هذه النعمة على علم مني بوجوه المكاسب والتجارات، وقيل المعنى: إنما أوتيت هذه النعمة على علم من الله باستحقاقي إياها(٣٧)؛ وهكذا كفر بنعمة الله تعالى ونسبها إلى ذاته، دون فضل الله تعالى وإحسانه؛ فكان الجزاء: ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الزمر: ٤٩ – ٥١].

ومن صور كفران النعم أيضا: نسبتها إلى غير الله تعالى على سبيل التأثير من السبب الذي نسبت إليه، وهذا شرك بالله تعالى، يقول تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النحل:٨٣]، والمعنى: يعرفون أن النعم من عند الله عز وجل، وأن الله تعالى هو المنعم، ولكنهم ينكرون ذلك؛ فيقولون: هذا ورثناه عن آبائنا، أو يقولون: لولا فلان لم يكن كذا وكذا، أو يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا(٣٨).

ومن صور كفران النعم أيضا: رفضها والإعراض عن شكرها؛ يقول تعالى في قصة سبأ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [سبأ: ١٥ – ١٩].

---

(٣٥) أحكام القرآن للقرطبي: ٩/ ٣٤٣.

(٣٦) التفسير البسيط للواحدي: ٣/ ٤٠٨، ومعالم التنزيل للبغوي: ٦/ ٢٢٢، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٤/ ٣٠٠، وفتح القدير للشوكاني: ٤/ ٢١٥.

(٣٧) المحرر الوجيز لابن عطية: ٤/ ٦٠٤، والكشاف للزمخشري: ٤/ ١٣٦.

(٣٨) جامع البيان للطبري: ١٧/ ٢٧٣، وزاد المسير لابن الجوزي: ٢/ ٥٧٧. عن مجاهد وغيره.

فهؤلاء قوم أنعم الله عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى، فأعرضوا عنها، ورفضوها، وتجاهلوها؛ فكان عقابهم أن أزالها الله عنهم، وأبدلهم مكانها نقما؛ إذ أرسل عليهم سيلا أهلك ديارهم، وزروعهم، وشردهم الله تعالى في البلاد، وجعلهم مثلا وعبرة للتحذير من كفران النعم.

ومن صور كفران النعم أيضا: بَطَرُها؛ أي: احتقارها والإزراء بها واستصغارها[٣٩]، يقول تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص: ٥٨].

أي: كم من أهل قرية أنعم الله عليهم بسعة العيش ورغد الحياة؛ فلم يشكروه تعالى على تلك النعم، بل احتقروها وصرفوها في غير وجهها؛ فأزالها الله تعالى عنهم وأهلكهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر.

- كما تقوم العقيدة الإسلامية على وجوب الإيمان بالتفاوت في الرزق:

فعقيدة المسلم قائمة على أن الله تعالى هو الذي يقسم الأرزاق، لا أحد غيره، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٠]، ويقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

وبأنه عز وجل لحكمة يعلمها جعل الناس متفاوتين في الأرزاق، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ [النحل: ٧١]، ويقول تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٠ – ٢١].

- كما تقوم العقيدة الإسلامية على أن ما اختاره الله تعالى للإنسان من الرزق إنما هو عين الحكمة؛ يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧].

- كما تقوم العقيدة الإسلامية على أن الفضل والمنزلة عند الله تعالى بالعمل الصالح والتقوى، لا بالثراء والغنى؛ يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولهذا الأساس العقدي أثر عظيم في تنمية الاقتصاد وازهاره:

لأن العقيدة التي توجب على أصحابها الأخذ بأسباب الرزق وبأسباب زيادة النعم، والابتعاد عن أسباب زوالها تربي فيهم حب العمل، وحب إتقانه، وتحميهم من الكسل والقعود والخمول. والعقيدة التي تربي أصحابها على الإيمان بأن الله تعالى فاوت بين الناس في الرزق لحِكَمٍ يعلمها سبحانه تغرس فيهم قيم العمل الاقتصادي النظيف، والمنافسة الشريفة، وتحصنهم من القلق من المستقبل، وتحميهم من الحزن على الماضي، ومن الحقد والحسد والضغينة، والمقاتلة على تحقيق مرادهم بطرق غير مشروعة؛ لأن الله تعالى هو الذي يقسم الأرزاق، وهو سبحانه أرحم وألطف بعباده منهم بأنفسهم؛ وهذه الركائز العقدية من أهم العوامل التي تحرك الاقتصاد في مساره الصحيح، وتعمل على جودته وتنميته وازدهاره.

(٣٩) يراجع: لسان العرب: ٧/ ٣٦٤. مادة (غمط).

الأساس الثامن: الإيمان بالقضاء والقدر، والرضا بما قسم الله:

والإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة(٤٠).

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، "وهذا شامِلٌ للمخلوقاتِ والعوالِمِ العُلويَّةِ والسُّفليَّةِ؛ أنَّ اللهَ تعالى وحده خلقها، لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقها، وقد خلقها سبحانه بقضاء سبق به علمه، وجرى به قَلَمُه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على اللهِ يسير"(٤١).

ويقول سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨]، "أي: وكان أمره عز وجل الذي يقدره كائنا لا محالة، وواقعا لا محيد عنه ولا مَعْدِل، فما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن"(٤٢).

ويقول تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]، "أي: ليقضي الله أمرا مقدرا في الأزل، لا بد من وقوعه"(٤٣).

وفي حديث جبريل – عليه السلام – الطويل: "قال فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(٤٤).

ولهذا، تقوم العقيدة الإسلامية على وجوب القناعة والرضا بما قسمه الله تعالى من الرزق، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الغير؛ لأن ذلك من أمارات الإيمان بالقضاء والقدر؛ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، والرضا بهما؛ والصبر على ما يقدره الله تعالى، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٤٥)، وحيث يقول صلى الله عليه وسلم: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٤٦).

---

(٤٠) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي: ص: ٢٤٩، ومجموع الفتاوى لابن تيمية: ٨/ ٤٥٩.

(٤١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص٨٢٨.

(٤٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦/ ٣٨٠.

(٤٣) تيسير الكريم الرحمن: ص٣٢١.

(٤٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: معرفة الإيمان: ١/ ٣٧، ح(٨).

(٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله: ٤/ ٢٠٥٢، ح(٢٦٦٤).

(٤٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير: ٤/ ٢٢٩٥، ح(٢٩٩٩).

ويؤكد صلى الله عليه وسلم على وجوب الرضا بما قسم الله من الرزق، فيقول ﷺ: «وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ»(٤٧).

ويحذر ﷺ من التطلع إلى ما في أيدي الغير فيقول: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»(٤٨). وفي رواية: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»(٤٩).

كما يحذر صلى الله عليه وسلم من الجشع والطمع فيقول: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»(٥٠)، ويقول صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ»(٥١).

ولهذا الأساس العقدي أثر عظيم في تنمية الاقتصاد وازدهاره:

لأنه من المعلوم يقينا أن العمل الاقتصادي لا محالة عرضة للمكاسب والخسارات، بل عرضة للكوارث أيضا، وليس في مقدور أحد أن يضمن لنفسه المكاسب أبدا؛ والأيام دُوَلٌ، يوم لك ويوم عليك؛ والله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، يداولها الله تعالى لحِكَمٍ لا يعلمها أحد سواه.

ولما كان الأمر كذلك كان الإيمان بالقضاء والقدر والرضا بما قسمه الله تعالى من الرزق صَمَّام الأمان للمؤمنين في هذه الدنيا، والحصن الذي يحميهم الله تعالى به من عواصف الحياة العاتية، ويحفظ لهم به توازنهم النفسي والصحي ضد الكوارث وتقلبات الزمان؛ فلا يكون من المؤمن إذا خسر شيئا من ماله أو أصابته جائحة فيه كله إلا الرضا والصبر والاحتساب، ويخرج من تلك الضائقة معافى، صحيح القلب والبدن، مأجورا – إن شاء الله تعالى – على إيمانه وصبره؛ والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

ولا يمكن لأي نظام اقتصادي في الدنيا أن يحفظ على أصحابه توازنهم النفسي والصحي وقت الخسارة أو الكوارث إلا النظام الاقتصادي الإسلامي؛ لأن المسلمين وحدهم الذين يؤمنون بقضاء الله وقدره، وبأن الله عز وجل لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، وأن قضاءه كله خير.

الأساس التاسع: الإيمان بأن الله تعالى رقيب على عباده (الرقابة الإلهية، والرقابة الذاتية):

– حيث تقوم العقيدة الإسلامية على الإيمان بأن الله تعالى رقيب على عباده، وأن هذه صفة "من صفات ذاته، الراجعة إلى العلم، والسمع، والبصر؛ فإن الله تعالى رقيب على الأشياء بعلمه المقدس عن مباشرة النسيان، ورقيب على المبصرات ببصره الذي لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، ورقيب على المسموعات بسمعه المدرك لكل حركة

(٤٧) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الزهد، باب: من اتقى المحارم فهو أعبد الناس: ٤/ ٥٥١، ح(٢٣٠٥)، وقال الألباني: "حسن".
(٤٨) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق: ٤/ ٢٢٧٥، ح(٢٩٦٣).
(٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الرقاق، باب: لينظر إلى من هو أسفل منه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، (٨/ ١٠٢، ح(٦٤٩٠).
(٥٠) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال: ٨/ ٩٢، ح(٦٤٣٥).
(٥١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب: لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا: ٢/٧٢٥، ح(١٠٤٨).

وكلام؛ فهو سبحانه رقيب عليها بهذه الصفات، تحت رِقْبَتِه الكليات والجزئيات وجميع الخفيات في الأرضين والسماوات، ولا خَفِيَّ عنده سبحانه، بل جميع الموجودات كلها على نمط واحد، في أنها تحت رِقْبَتِه التي هي من صفته"(٥٢).

"والرَّقِيبُ سبحانه: هو المطَّلِعُ على ما أَكَنَّته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير"(٥٣).

فعقيدتنا نحن المسلمين تقوم على أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء من أمورنا – وأمور كل خلقه –؛ حتى الأسرار، وما تكنه الصدور، وما هو أخفى من ذلك.

يقرر الله تعالى تلك العقيدة فيقول عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]، ويقول تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾ [الحديد: ٤]، ويقول تعالى: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ [طه: ٧]، ويقول تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٩]، ويقول تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾ [الملك: ١٣].

ويؤكدها النبي صلى الله عليه وسلم فيقول في حديث جبريل – عليه السلام – الطويل حين سأله: «مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٥٤).

– كما تقوم العقيدة الإسلامية على أن الله تعالى وَكَّل بكل إنسان ملائكة تسجل كل ما يصدر منه؛ يقول تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [ق: ١٨]، ويقول تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠]، ويقول تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾ [الجاثية: ٢٨ – ٢٩].

– كما تقوم العقيدة الإسلامية على أن كل الناس موقوفون يوم القيامة ومحاسبون؛ يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر: ٩٢ – ٩٣].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»(٥٥).

وبناء على ذلك كله، فإن المؤمن الحق يجعل من نفسه على نفسه رقيبا، فيحاسب نفسه على كل قول وعمل وتلك هي (الرقابة الذاتية)؛ ليفوز برضوان الله تعالى، وينجو من عقابه.

---

(٥٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي: ص٤٠١، ٤٠٢.

(٥٣) تفسير السعدي: ص٩٤٧.

(٥٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة: ١/ ١٩، ح(٥٠).

(٥٥) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب صفة القيامة، باب: في القيامة، ٤/ ٦١٢، ح(٢٤١٧) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

والنشاط الاقتصادي جزء أصيل من حركة الإنسان ونشاطه في هذه الحياة، المندرجة – لا محالة – تحت تلك المراقبة الإلهية، ولأجل هذا فإن المؤمن الحق يراقب نفسه مراقبة ذاتية، ويحاسبها على كل نشاط اقتصادي، كسبا، وتنمية، وإنفاقا، ليقيّمه وفقا للضوابط الشرعية في كل مرحلة من مراحله، فإن تحققت فيه المعايير والضوابط الشرعية فبها ونعمت، وإن كان مخالفا تركه تعبدا لله تعالى، وخوفا من عقابه.

ولهذا الأساس العقدي أثر عظيم في تنمية الاقتصاد وازدهاره:

لأنه لما كان البناء العقدي للمؤمن يقوم على يقينه بأن الله تعالى يراقبه في كل قول وفعل، في كل حركة وسَكْنَة؛ في سره وعلانيته، وفيما هو أخفى من ذلك، وأن كل ذلك مكتوب في سجل أعماله؛ لذا، فإنه يتصرف في كل أمور حياته ومنها نشاطه الاقتصادي وفقا لهذه العقيدة؛ فيتحرى الحلال في كسبه لماله، وفي تنميته، وفي إنفاقه، ويبذل قصارى جهده في أن يكون نشاطه الاقتصادي موافقا لما جاءت به الشريعة الإسلامية، وهذه هي الرقابة الذاتية التي تنشأ من تلك العقيدة الإيمانية، وهي من أخص خصائص الاقتصاد الإسلامي، والتي تقوم في الأساس على الوازع الديني الشخصي الخالص، وإن لم يكن ثمة قوانين وأنظمة، وهذا من شأنه أن ينمي الاقتصاد ويقويه، ومن ثم: "تحقيق الكفاءة الاقتصادية، سواء في جانب الإنتاج، أو في جانب التوزيع، أو في الجوانب المعنوية أو النفسية"(٥٦).

الأساس العاشر: الإيمان بأن الأخلاق ركن رئيس في الاقتصاد:

حيث تقوم العقيدة الإسلامية على أن الأخلاق مرتبطة بالإيمان ارتباطا وثيقا، بل هي جزء من العقيدة، والاقتصاد الإسلامي يقوم في الأساس على العقيدة، ولهذا فإن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد أخلاقي بالدرجة الأولى، وهذه من أهم خصائصه التي تميزه عن غيره من الأنظمة الاقتصادية.

فعقيدة المسلم قائمة على أن الأخلاق ركن أصيل في كل معاملاته، ومنها النشاط الاقتصادي؛ لأن الأخلاق هي التطبيق العملي للعقيدة الإسلامية في أرض الواقع، قولا وعملا وسلوكا وحالا؛ إذ الإيمان: "تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ولا يكون المؤمن مؤمنا إلا إذا اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث"(٥٧). فالأخلاق جزء من الإيمان، ومنها ما يكون بالقول، ومنها ما يكون بالفعل، ومنها ما يكون بالحال، والنشاط الاقتصادي في الإسلام لا ينفك عن هذه جميعا.

وقد زخرت آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بما يدل دلالة واضحة على العلاقة الوثيقة بين الأخلاق والإيمان، وعلى الحث على التحلي بمكارم الأخلاق، والتخلي عن مساوئها.

– فمن الآيات الكريمة التي تربط بين الإيمان والأخلاق:

قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ

(٥٦) المقاصد الأخلاقية والاجتماعية لضوابط الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي: ص٥٩١، ٥٩٢، بتصرف.

(٥٧) الشريعة للآجري: ٢/ ٥٥٦، ٢/ ٦١١، والفتاوى الكبرى لابن تيمية: ٦/ ٥٠٨.

وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣]. وقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠]، ... الخ.

- ومن الأحاديث النبوية التي تربط بين الإيمان والأخلاق:

قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»(٥٨)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»(٥٩)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»(٦٠)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ» (٦١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «المسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»(٦٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٦٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(٦٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»(٦٥). ... الخ.

---

(٥٨) أخرجه أحمد في مسنده: ١٤/ ٥١٣، ح(٨٩٥٢).

(٥٩) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل: ٨/ ١٤، ح(٦٠٣٥).

(٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف: ٣/ ٥٧، ح(٢٠٧٦).

(٦١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الزهد والرقائق، باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر: ٤/ ٢٣٠٢، ح(٣٠٠٦).

(٦٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده: ١/ ١١، ح(١٠).

(٦٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: السنة، باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه: ٤/ ٢٢٠، ح(٤٦٨٢)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٦٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان: ١/ ٦٣، ح(٣٥).

(٦٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان: ١/ ٦٨، ح(٤٧).

- ومن الآيات الكريمة التي تنهى عن سيئ الأخلاق:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨]، قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ [طه: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المطففين: ١ – ٣]. ... الخ.

- ومن الأحاديث النبوية التي تنهى عن سيئ الأخلاق:

قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»(٦٦)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «آيَةُ المَنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٦٧)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي»(٦٨)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(٦٩)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ(٧٠) لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»(٧١). ... الخ.

ولهذا الأساس العقدي أثر عظيم في تنمية الاقتصاد وازدهاره:

لأن البناء العقدي المتمثل في التحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن مساوئها، هو أقوى عامل لضمان جودة النشاط الاقتصادي؛ لأن المسلم الذي يتقي الله تعالى في نشاطه الاقتصادي، ويرجو ثوابه، ويبتغي مرضاته؛ فيكون صادقًا، مخلصًا، أمينًا، عادلاً، وَفِيًّا بعهده، ملتزمًا بعقوده، متواضعًا، سمحًا، عفوًّا، محسنًا، رحيمًا، ورِعًا، صابرًا، محتسبًا، مُنْظِرًا للمعسرين... الخ، هذا المسلم بهذا البناء العقدي الأخلاقي لا تهزه الرياح العاتية، ولهو أكبر معين على بناء اقتصاد قوي متين مزدهر، ولا ريب أن هذه الصفات لا يمكن أبدا أن تشترى بالمال. وينضم هذا الأساس العقدي أيضا إلى ما سبق من الأسس التي هي من أخص خصائص الاقتصاد الإسلامي التي لا توجد في غيره.

---

(٦٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر: ٤/ ١٩٨٣، ح(٢٥٥٩).

(٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق: ١/ ١٦، ح(٣٣).

(٦٨) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: الأقضية، باب: في كراهية الرشوة: ٣/ ٣٠٠، ح(٣٥٨٠)، وقال الألباني: صحيح.

(٦٩) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم: ٤/ ١٩٩٦، ح(٢٥٧٨).

(٧٠) رَبَض الجَنَّة: ما حَوْلَها. ينظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى المديني: ١/ ٧٢٤.

(٧١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق: ٤/ ٢٥٣، ح(٤٨٠٠)، وقال الألباني: حسن.

ولهذا "يتجه علماء الاقتصاد الوضعي نحو الاهتمام بالجانب الأخلاقي لعلم الاقتصاد، وقد أوضحوا أن هناك العديد من المشكلات الاقتصادية التي لا يمكن أن تعالج إلا من خلال القيم والمثل، وهذا يؤكد الإعجاز الاقتصادي في الإسلام، وأنه ينسجم مع الفطرة والعقل"(٧٢).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فقد انتهيت بفضل الله تعالى من هذا البحث، وكان من أهم نتائجه ما يأتي:

أولا: أن العقيدة الإسلامية هي الركيزة الأولى في قيام الاقتصاد الإسلامي، وهي السبب الرئيس في تنميته وازدهاره.

ثانيا: أن أسس البناء العقدي للاقتصاد الإسلامي المتعلقة بالإنسان، والتي هي من أخص خصائص الاقتصاد الإسلامي التي لا توجد في غيره؛ لها آثار عظيمة في تنميته وازدهاره، وبيان ذلك فيما يأتي:

- أما الأساس الأول: وهو الإيمان بأن المالك لكل شيء هو الله تعالى، وأن ملكية الإنسان ملكية اعتبارية:

فلأنه يرسخ في عقيدة المسلم أن هذا المال في حيازته كالوديعة أو العارية، وأن ملكيته له إنما هي ملكية منضبطة بقواعد الحلال والحرام، وأنه يجب استثماره فيما يعود بالنفع عليه وعلى المجتمع، وهذا من شأنه أن يكبح جماح النفوس الشرهة عن المغالبة على جمع المال بأي وسيلة، وأن يربيها على التزام الضوابط الشرعية في كل معاملة؛ كسبا أو تنمية أو إنفاقا.

- وأما الأساس الثاني: وهو الإيمان بأن الإنسان مستخلف من الله تعالى في كل ما يملك:

فلأنه يؤكد تكريم الله عز وجل للإنسان، ويغرس في قلب المؤمن قيمة المسؤولية، ويحصنه من الطمع، والجشع، والظلم، وسائر الآفات المتعلقة بذلك، ويجعله ملتزما بشريعة الله تعالى في ماله، كسبا وتنمية وإنفاقا؛ طمعا في ثوابه عز وجل، وخوفا من عقابه.

- وأما الأساس الثالث: وهو الإيمان بأن الله تعالى سخر كل ما في الكون لخدمة الإنسان:

فلأنه يخلع على المؤمن مزيدا من التكريم والتشريف، ويلقي عليه أمانة كبيرة، ألا وهي أمانة القيام بمسؤولية إعمار الأرض، ونفع البشرية، وهي غاية كبرى تحمل العديد من القيم التي تدفعه إلى مداومة العمل والإنتاج والاستثمار والتنمية؛ فينطلق في حركة مستمرة دائبة؛ امتثالا لتكليف الله تعالى، وما أعظم العمل حين تكون العقيدة هي الباعث عليه والمنظم لسلوكه!.

- وأما الأساس الرابع: وهو الإيمان بأن الله تعالى أودع في هذا الكون كل ما يكفي جميع خلقه:

فلأنه يزرع في قلب المسلم الثقة في وجود كل حاجاته في هذا الكون، فتسري فيه روح الأمل وحب العمل، لتحقيق أعلى مستوى من التنمية والتقدم والازدهار، كما تدفع عنه هذه العقيدة أي تفكير في اليأس أو الإحباط؛ نتيجة الفشل أو الإخفاق، لأن عقيدته راسخة في وفرة النعم وكفاية الخيرات للناس جميعا؛ فيسعى جاهدا ويكرر المحاولات، ويعمل على تطوير ذاته ووسائله وإمكاناته، فتتحرك عجلة التنمية ويزدهر الاقتصاد.

(٧٢) دور القيم الإيمانية والأخلاقية في الاقتصاد الإسلامي، للدكتور/ حسين شحاتة.

- وأما الأساس الخامس: وهو الإيمان بأن العمل المشروع عبادة لله تعالى يثاب عليها:

فلأنه يدفع المسلم إلى بذل قصارى جهده في الجد والعمل، وفي إخلاصه، وفي إتقانه وإحسانه، ويدفع عنه السآمة والملل من العمل ما دام فيه عرق ينبض، وفي هذا إشباع لحاجاته المادية اللازمة لجسده، وإشباع لحاجات الروحية أيضا، من العبادة والشكر لله تعالى.

- وأما الأساس السادس: وهو الإيمان بحرمة الانشغال بالعمل عن العبادات المفروضة:

فلأنه ينظم حركة الاقتصاد الإسلامي، ويؤكد توازنه، فهو ليس اقتصادا ماديا بحتا، تطغى فيه حاجات المادة على حاجات الروح، بل لكل منهما نصيبه في حياة المسلم، فإذا تعارضت حاجات الروح مع حاجات الجسد قُدمت حاجات الروح؛ لأنها المسؤولة عن تزكية النفس وتهذيبها؛ فهي الأساس والمحرك للجسد والموجه له إلى كل أبواب الخير.

- وأما الأساس السابع: وهو الأخذ بأسباب الرزق، والإيمان بالتفاوت فيه:

فلأنه يربي في المؤمنين حب العمل، وحب إتقانه، ويحميهم من الكسل والقعود والخمول، ويغرس فيهم قيم العمل الاقتصادي النظيف، والمنافسة الشريفة، ويحصنهم من القلق على المستقبل، ويحميهم من الحزن على الماضي، ومن الحقد والحسد والضغينة، والمقاتلة على تحقيق مرادهم بطرق غير مشروعة؛ لأن الله تعالى هو الذي يقسم الأرزاق، وهو سبحانه أرحم وألطف بعباده منهم بأنفسهم.

- وأما الأساس الثامن: وهو الإيمان بالقضاء والقدر، والرضا بما قسم الله:

فلأن الإيمان بالقضاء والقدر والرضا بما قسمه الله تعالى من الرزق صَمَّام الأمان للمؤمنين في هذه الدنيا، والحصن الذي يحميهم الله تعالى به من عواصف الحياة العاتية، ويحفظ لهم به توازنهم النفسي والصحي ضد الكوارث وتقلبات الزمان؛ فلا يكون من المؤمن إذا خسر شيئا من ماله أو أصابته جائحة فيه كله إلا الرضا والصبر والاحتساب، ويخرج من تلك الضائقة معافى، صحيح القلب والبدن، مأجورا – إن شاء الله تعالى – على إيمانه وصبره، ولا يمكن لأي نظام اقتصادي في الدنيا أن يحفظ على أصحابه توازنهم النفسي والصحي وقت الخسارة أو الكوارث إلا النظام الاقتصادي الإسلامي؛ لأن المسلمين وحدهم الذين يؤمنون بقضاء الله وقدره، وبأن الله عز وجل لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، وأن قضاءه كله خير.

- وأما الأساس التاسع: وهو الإيمان بأن الله تعالى رقيب على عباده (الرقابة الإلهية، والرقابة الذاتية):

فلأنه يوجب على المسلم أن يتحرى الحلال في كسبه لماله، وفي تنميته، وفي إنفاقه، وهذه هي الرقابة الذاتية التي تنشأ من تلك العقيدة الإيمانية، وإن لم يكن ثمة قوانين وأنظمة؛ وهي من أخص خصائص الاقتصاد الإسلامي، وهذا من شأنه أن يحقق الكفاءة الاقتصادية، ويرفع من جودة النشاط الاقتصادي.

- وأما الأساس العاشر: وهو الإيمان بأن الأخلاق ركن رئيس في الاقتصاد:

فلأنه أقوى عامل لضمان جودة النشاط الاقتصادي؛ لأن المسلم الذي يتقي الله تعالى في نشاطه الاقتصادي، ويرجو ثوابه، ويبتغي مرضاته؛ فيكون صادقًا، مخلصًا، أمينًا، عادلاً، وَفِيًّا بعهده، ملتزمًا بعقوده، متواضعًا، سمحًا، عفوًّا، محسنًا، رحيمًا، ورِعًا، صابرًا، محتسبًا، مُنْظِرًا للمعسرين... الخ، هذا المسلم بهذا البناء العقدي الأخلاقي لا تهزه الرياح العاتية، ولهو أكبر معين على بناء اقتصاد قوي متين مزدهر.

ولهذا بدأ علماء الاقتصاد الوضعي يؤكدون على الاهتمام بالجانب الأخلاقي في الاقتصاد، لعلاج كثير من المشكلات؛ لكن جهودهم في هذا مهما بلغت لن تبلغ ما هو مقرر في الإسلام؛ لأنه في الإسلام نابع من العقيدة التي يدين بها المرء لله تعالى، لا من الالتزام بقانون وضعه البشر، والبون شاسع!.

وأخيرا: أوصي بمزيد من الدراسات العلمية التي تؤكد على تفوق الاقتصاد الإسلامي وتفرده على كافة الأنظمة الاقتصادية الوضعية، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي في الخطاب القرآني، د/ عمر الكتاني، بحث منشور بندوة سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر، بالدار البيضاء، بالمغرب، ٢٠١١م.

إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ.

الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ط/ دار الصحابة بطنطا، بمصر، ١٩٩٥م.

أصول علم الاقتصاد الإسلامي، د/ أحمد صفي الدين عوض، بحث منشور بمجلة أضواء الشريعة، بكلية الشريعة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني عشر، عام ١٩٨١م.

الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف، د/ عبد الله الطريقي، ط/ مؤسسة الجريسي، ١٤٢١هـ.

الاقتصاد الإسلامي فلسفته ومنهجه العلمي، د/ عبد الرحمن يسري أحمد، ط/ مركز صالح كامل للاقتصاد الاسلامي، بجامعة الأزهر، ٢٠١١م

الاقتصاد الإسلامي مدخل ومنهاج، د/ عيسى عبده: ص٣٤، ط/ دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٤م.

البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ط/ دار الفكر بيروت، ١٤٢٠هـ.

التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، ط/ الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

تسهيل العقيدة الإسلامية للشيخ/ عبد الله الجبرين، ط/ دار العصيمي، بالرياض، بدون تاريخ.

التفسير البسيط، الواحدي، ط/ عمادة البحث العلمي، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.

تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط/ دار طيبة، بالقاهرة، ١٩٩٩م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م.

جامع البيان، للطبري، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م.

الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ط/ دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية، ط/ دار المعرفة، بالمغرب، ١٩٩٧م.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ.

حول المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية لعبد الحميد الغزالي، ط/ دار الوفاء، بالقاهرة، ١٩٨٩م.

دور القيم الإيمانية والأخلاقية في الاقتصاد الإسلامي، د/ حسين شحاتة، بحث منشور بمجلة التوحيد، بالقاهرة، العدد (٥٤١)، ٢٠١٦م.

زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

سنن أبي داود للإمام أبي داود، ط/ دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠٠٩م
سنن الترمذي، للإمام الترمذي، ط/ إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.
شرح النووي على صحيح مسلم، ط/ دار التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
الشريعة للأبي بكر الآجري، ط/ دار الوطن، بالسعودية، ١٩٩٩م.
الصحاح للجوهري، ط: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
صحيح الإمام البخاري، ط/ دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
صحيح الإمام مسلم، ط/ إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
صحيح الجامع الصغير وزياداته، للشيخ الألباني، ط/ المكتب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ.
العقيدة الصحيحة وما يضادها ورسالة المعية للشيخ/ عبد العزيز بن باز، ط/ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، بالرياض، بدون تاريخ.
العقيدة ودورها في التنمية الاقتصادية، لأحمد عبادي الأمين، مقال منشور بجريدة الوعي الإسلامي، العدد (٥٩٢)، ذي الحجة (١٤٣٥) ١٤٣٥هـ.
الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
فتح القدير، للشوكاني، ط/ دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٤هـ.
الكشاف، للزمخشري، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ.
لسان العرب، لابن منظور، ط/ دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
مبادئ الاقتصاد الإسلامي، د/ سعد بن حمدان اللحياني، ط/ جامعة أم القرى، بدون تاريخ.
مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة د/ ناصر العقل، ط/ دار الوطن للنشر، بالرياض، ١٤١٢هـ.
مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة النبوية، بالمملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م.
المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى المديني، ط/ دار المدني، جدة، ١٩٨٦م.
المحرر الوجيز لابن عطية، ط/ دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٢هـ
مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، د/ سعيد مرطان، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٤م.
مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.
معالم التنزيل، للبغوي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
المعجم الأوسط، للطبراني، ط/ دار الحرمين، بالقاهرة، بدون تاريخ.
المقاصد الأخلاقية والاجتماعية لضوابط الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي، د/ عصام مندور، بحث منشور بالمجلة العلمية للاقتصاد والتجارة، بكلية التجارة، بجامعة عين شمس، بمصر، المجلد (٥٣)، العدد (١)، ٢٠٢٣م.
مقاييس اللغة، لابن فارس، ط/ دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.